

الصفات بين النفي والإثبات

[وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين]. الشرح * قوله: (وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات). الله - سبحانه وتعالى - قد سمي نفسه بأسماء حسنة، ووصف نفسه بصفات عليا في كتابه الكريم، وقد جمع في ذلك بين النفي والإثبات، ولكن النفي - في الغالب - محمل، وهو نفي كل ما يضاد كمال الله وجلاله، والإثبات - في الغالب - مفصل متسع فيه. فمثال النفي المجمل: قوله تعالى { لَيْسَ كَمِيلٌ شَيْءٌ } [الشورى: 11]. وقوله: { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } [مريم: 65]. وقوله: { قَلَا تَصْرُّبُوا لِلَّهِ الْأَمْتَانَ } [النحل: 74]. وقوله: { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أَحَدٌ } [الإخلاص: 4]. وقوله: { فَسُبِّحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } [الأنياء: 22]. ومثال النفي المفصل: قوله تعالى { مَا أَنْجَدَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا } [الجن: 3]. وقوله: { قَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا } [البقرة: 22]. وقوله: { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلُّ } [إسراء: 111]. وقوله تعالى: { لَا تَأْخُذُهُ سِنَةً وَلَا تَوْمُ } [البقرة: 255]. لإثبات كمال قيوميته، وقوله: { وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } [طه: 110]. لإثبات كمال علمه وإحاطته، ونحو ذلك. والحاصل أن النفي المجمل أو المفصل لا فائدة منه إلا إذا أثبتنا ضده من الكمال. كذلك الإثبات، كقوله: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه: 5]. هذا فيه إثبات الاستواء لله على ما يليق بجلاله، وقوله: { وَهُوَ مَعَكُمْ أَئِنَّ مَا كُنْتُمْ } [الحديد: 4]. فيه إثبات المعية العامة كما يشاء سبحانه، وقوله: { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُكَلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة: 231]. فيه إثبات العلم، وقوله: { وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: 284]. فيه إثبات القدرة، وقوله: { إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [غافر: 20]. فيه إثبات السمع والبصر، وهكذا فقد جمع بين النفي والإثبات. * قوله: (فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين...). ومتى كان كذلك فلا عدول ولا ميل لأهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون؛ لأنهم إذا عدلوا فإنهم سيسلكون سبل الشياطين على كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه. والنبي - صلى الله عليه وسلم - عندما قال قوله تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا } [الأنعام: 153]. خط خطأ ثم قال: { هذا سبيل الله ثم خط خططا عن يمينه وعن شماله، وقال: "هذه سبل وطرق، على كل طريق منها شيطان يدعو إليها } أخرجه أحمد في المسند (1/ 435، 465)، وابن ماجه برقم (11) في المقدمة، عن عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه -، وحسن الألباني إسناده كما في تعليقه على أحاديث المشكاة رقم (166) هامش رقم (2)، وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند (4142): إسناده صحيح. فالصراط المستقيم الذي قال الله عنه: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَإِنِّي عُوْدُ } [الأنعام: 153]. هو طريق الأنبياء، منهم إمامهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وطريق الصحابة وسلف الأمة، وطريق الأئمة وأتباعه - صلى الله عليه وسلم - إلى يوم الدين، هذا هو الطريق الحق، وهو الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه، وهو الوصول إلى الجنة، وهو صراط المنعم عليهم الذين ذكرهم الله في سورة النساء في قوله تعالى: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الْجَنَّةِ، وَهُوَ صِرَاطُ الْمُنْعَمِ } [النساء: 69]. فقد أخبر سبحانه - بأن من أطاع الله طاعة كاملة، وأطاع الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإنه مع هؤلاء الذين أنعم الله عليهم أتم نعمة وأكبر نعمة، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقد هداهم سبحانه إلى الطريق الذي يرضيه عنهم ووفهم لسلوكه، فالنبيون: هم الذين يعثرون الله لإصلاح أعمال الخلق وللالتهم على الصراط المستقيم، والصديقون: هم الذين صدقوا المرسلين، ولم يتربدوا في ذلك، فكانوا غاية في الصدق والصدق. والشهداء: هم الذين وفّهم الله تعالى لإعلاء كلمته، والاستشهاد في سبيله، والصالحون " هم أهل الصلاح الظاهر والباطن، الذين أصلحوا أقوالهم وقلوبهم وأعمالهم، وكل هؤلاء من المنعم عليهم. وكذلك كل من أطاع الله وأطاع الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى يوم القيمة فإنه مع هؤلاء، فهم أحق الناس بالرسول - صلى الله عليه وسلم - لأنهم أتبعوه حق الاتباع في جميع أمورهم، فلم يكن أتباعهم إياهم في بعض الشريعة دون بعض، أو آمنوا بعض الكتاب دون بعض: أو تابعوا في العقيدة دون العمل، أو في العمل دون العقيدة، بل اتبعوا في العقيدة والعمل والأخلاق والسلوك وكل شيء، فلذلك صاروا من الذين أنعم الله عليهم، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.